الفصل الرابع

التقييد بالتوابـــع

توطئة الفصل:

التوابع مفردها تابع، وهي كما أقرها النحاة خمسة: النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق والبدل.

والتابع هو ما يتقيد في نوع إعرابه بنوع إعراب في لفظ متقدم عليه يسمى المتبوع. وقد ذكرت تعريفات كثيرة للتابع بحيث يشمل التعريف هذه التوابع كلها، وهذه التعريفات تدور حول التبعية في الإعراب، وهو- كما عرفه النحاة -: المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد غير خبر[1].

و«التوابع كما يعرفها أصحاب (المعجم المفصل) هي: ألفاظ متأخرة دائما تتقيد في إعرابها بإعراب الأسماء التابعة لها.. وهي أنواع»[2].

فالتبعية في الإعراب – إذن – تعد أهم ما يميز هذا الباب التوابع وهي قرينة معنوية عامة يندرج تحتها أربع قرائن هي: النعت والتوكيد والعطف بنوعيه والبدل. وقال الدكتور تمام حسان: وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية أشهرها قرينة المطابقة، ثم إن أشهر ما تكون فيه المطابقة بين التابع والمتبوع هو العلامة الإعرابية، كما أن هناك قرينة أخرى توجد فيها جميعا هي الرتبة إذ رتبة التابع هي التأخر عن المتبوع دائما[3].

أما المطابقة في التعريف والتنكير فهي موجودة في بعض التوابع وليست شرطًا في بعضها، والمطابقة في النوع شرط في النعت الحقيقي وليست كذلك في النعت

---

(1) الصبان، حاشية الصبان على الأشموني: ٣/ ٨٣.

(2) المعجم المفصل في علوم اللغة لمحمد التونجي، وراجي الأسمر، مراجعة د. أميل يعقوب: ١/ ٢١٠. بيروت. دار الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(3) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٤.

السببي؛ فهو حسب مرفوعه من حيث التذكير والتأنيث، وليست – كذلك – المطابقة في النوع شرطًا في البدل ولا عطف النسق.

ذلك ملمح.. يتحدد عند تقييد الجملة بهذه التوابع. وثمة ملمح آخر يتمثل فيتلك المعاني والأغراض الدلالية التي تؤدى بها إبان التقييد. فالنعت – مثلا – يفيد بتقييده للجملة (التوضيح أو التخصيص أو التوكيد..) أو غير ذلك من الأغراض، وما يقوم به التوكيد لا يقل أهمية عما يقوم به النعت حيث يقرر أمر المتبوع في النسبة وأعني به التوكيد المعنوي، وتقيد الجملة بعطف البيان من أجل التوضيح وبيان المرادف، وثمة معاني دلالية مفادة جراء تقييد الجملة بحروف العطف حيث عطف النسق، ومن هذه الحروف – مثلا – الواو والفاء وثم وأو، حيث الجمع والتفصيل والتعقيب والترتيب والتراخي والتخيير... أوغير ذلك مما تؤديه الحروف كل في موضعه، وما تقيد الجملة بالبدل إلا من أجل البيان والأيضّاح؛ إذ إنه المقصود بالحكم بعد الإبهام.

من أجل ذلك كله خصص هذا الفصل، وقد اقتضت طبيعة مادته أن يكون في خمسة مباحث موزعة على النحو التالي:

المبحث الأول: التقييد بالنعت

المبحث الثاني: التقييد بالتوكيد

المبحث الثالث: التقييد بعطف البيان

المبحث الرابع: التقييد بعطف النسق

المبحث الخامس: التقييد بالبدل.

المبحث الأول

التقييد بالنعت

تقيد الجملة الاسمية بالنعت عن طريق تقييد أحد ركني الإسناد فيها (المبتدأ والخبر) أو نعت عنصر من متعلقاتهما، و يكون في الجملة الفعلية – كذلك – بنعت المسند إليه(الفاعل أو ما ينوب عنه) أو نعت عنصر من متعلقات ركن الإسناد فيها.

المصطلح

يسمى النعت والوصف والصفة، والتعبير بالنعت اصطلاح الكوفيين، وربما قال به البصريون، إلا أن الأكثر عندهم استعمال الوصف والصفة[1].

تعريفه ودلالته

وعلى حسب تعريف النحاة للنعت نستطيع تحديد دلالته، فالنعت كما يعرفه ابن هشام: هو التابع الذي يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما له تعلق به»[2] وثمة مفهوم آخر، وهو: تابع.. يفيد تخصيص متبوعه أو توضيحه...[3].

ومعروف تبعًا لقرينة المطابقة أن النعت يطابق المنعوت في التعريف والتنكير، فإذا كان معرفة فهو للتوضيح، وإذا كان نكرة ففائدته التخصيص.

فدلالة القيد النعت إذن هي:

١- التوضيح، وذلك إذا كان المقيد المنعوت معرفة، وذلك كما في قوله تعالى: {وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ}[4] وقوله تعالى: {مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى}[5] ويتضح ذلك أيضًا في قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[6] فقد وقع

---

(1) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٤٥.
(2) ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٢٣٠.
(3) ابن هشام، شرح شذور الذهب: ١٠٥.
(4) من الآية: ١٢ من سورة الرعد.
(5) من الآية: ٤٣ من سورة القصص.
(6) من الآية: ١٤ من سورة الأنعام.

قوله تعالى (فاطر السماوات والأرض) قيدًا بالنعت والغرض من هذا التقييد الكشف عن معنى الموصوف وأيضًاحه وزيادة بيانه، أي: معرفة ذات الله تعالى من خلال صفاته التي يتصف بها[١].

٢- التخصيص، وذلك إذا كان المقيد المنعوت نكرة، وذلك كما في قوله تعالى: {فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ}[٢] وقوله تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ}[٣] فقد وقع قوله تعالى (صفراء) قيدًا بالنعت، والغرض من هذا التقييد هو تخصيص الموصوف.

تلك دلالة عامة، وهي كما هو واضح تدل عليها الكلمة الواقعة نعتًا للمنعوت، معرفة كانت أو نكرة. وثمة دلالات خاصة وهي بحسب ما تدل عليه الكلمة نفسها، وذلك تبعًا للسياق الواردة فيه، ومنها:

١- المدح،وذلك كما في قوله تعالى: {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[٤] وواضح من الآيات أنه بدئ بالحمد والثناء (الحمد لله) ثم أجريت تلك الصفات {رَبِّ الْعَالَمِينَ.الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} على الله تعالى للدلالة على أنه حقيق بالحمد، وللإشعار باختصاصه تعالى بالملك، فتلك الصفات بمثابة الدليل على ما أفصحت عنه الآيات الكريمة بعد، حيث اختصاصه بالعبادة والاستعانة[٥] في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[٦].

٢- الذم،ويمثله قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[٧] وقوله تعالى: {وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[٨] ويتضح كذلك في قوله تعالى: {فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[٩] فقد وقع قوله تعالى (الظالمين) قيدًا

---

(1) راجع: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: ٢٠/ ١٣٠.
(2) من الآية: ٩٤ من سورة النساء.
(3) من الآية: ٦٩ من سورة البقرة.
(4) الآيات من: ٢-٤ من سورة الفاتحة.
(5) راجع: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/ ٩ بيروت دار الكتب ١٤٠٨هـ.
(6) الآية: ٥ من سورة الفاتحة.
(7) من الآية: ٩٨ من سورة النحل.
(8) من الآية: ٣٦ من سورة آل عمران.
(9) من الآية: ٦٨ من سورة الأنعام.

بالنعت، والغرض من هذا التقييد ذم القوم والتنفير من الاتصاف بالظلم، والغرض من هذا الذم الكشف عن معنى الموصوف وأيضًاحه، وعبر بالظالمين دون التعبير بالمشركين لإفادة العلة والسبب، وهو الظلم[١].

٣- التوكيد،ويمثل له قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}[٢] فقد قيدت الجملة بالنعت (واحدة) علمًا بأنهما نفختان، وذلك فيه إشعار بعظم هذه النفخة؛ إذ إن المؤثر لدك الأرض والجبال وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى[٣].

وقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}[٤] وذلك على قراءة حفص بتنوين (كل) أي من كل حيوان، فيكون (زوجين) مفعولاً به و(اثنين) نعتًا مؤكدًا له، وأما على قراءة باقي السبعة بإضافة (كل) إلى زوجين فيكون (اثنين) مفعولاً به لا نعتًا[٥].

وليس بلازم أن يجيء النعت المؤكد بلفظ العدد، فقد يأتي بغيره، وذلك كما في قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}[٦] فـ (كاملين) نعت مؤكد لـ (حولين)، وكذلك قوله تعالى: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}[٧].

٤- التفخيم والتهويل،قال تعالى: {وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا}[٨] فالمتأمل يلحظ أن قوله تعالى (شديد) وقع قيدًا بالنعت لإفادة التفخيم والتهويل، والغرض من ذلك الدلالة على شدة الإيلام[٩].

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال ا لقرآن: ٢/ ١١٢٧. جدة. دار العلم للطباعة. بدون.
(2) الآية: ١٣ من سورة الحاقة.
(3) راجع: السيد الشريف، حاشيته على الكشاف: ٤/ ١٥١.
(4) من الآية: ٤٠ من سورة هود، وكذلك الآية: ٢٧ من سورة المؤمنون.
(5) راجع: مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٥٢٨.
(6) من الآية: ٢٣٣ من سورة البقرة.
(7) من الآية: ١٩٦ من سورة البقرة.
(8) من الآية: ١٦٤ من سورة الأعراف.
(9) راجع: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: ٢/ ٣١١.

٥- التحقير والإهانة،قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[1] فقد وقع (خاسئين) قيدًا بالنعت للدلالة على الطرد والزجر، والغرض من ذلك قصد التحقير والتهويل[2].

٦- التفصيل بعد الإجمال،قال تعالى: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}[3] فقد وقع قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ.. وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} قيدًا بالنعت مفصلاً لما قبله؛ إذ أن قوله تعالى (للمتقين) إجمال بعده تفصيل.

النعت وقرينة الصيغة

قرينة الصيغة من القرآئن اللفظية التي تعين القيد النعت وتوضحه، هذا بالتضافر مع القرائن اللفظية الأخرى.. والصيغة قرينة في باب (النعت)؛ لأن له صيغًا محددة يأتي وفقًا لها[4] وهي ما يلي:

١- المشتق: وهو ما دل على حدث وصاحبه كـ اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل وصيغ المبالغة[5].

ففي قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ}[6] جاء النعت وهو مصدق اسمًا للفاعل. وفي قوله تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ}[7] وقوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}[8] جاء اسم مفعول وهو في الآيتين مبارك.

وجاء – كذلك – اسم تفضيل، وذلك كما في قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ

---

(1) الآية: ٦٥ من سورة البقرة.
(2) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ١/ ٣٩٧.
(3) من الآيتين: ١٣٣-١٣٤ من سورة آل عمران.
(4) انظر: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٠.
(5) ابن هشام، أوضح المسالك:/ ٣/ ٢٧٤.
(6) من الآية: ١٠١ من سورة البقرة.
(7) من الآية: ٥٠ من سورة الأنبياء.
(8) من الآية: ٩٢ من سورة الأنعام.

الْخَالِقِينَ}[١] وكذا قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ}[٢].

وفي قوله تعالى: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ}[٣] جاء القيد النعت بالمبالغة قال أبو حيان: هي الزبانية التسعة عشر وأعوانهم ووصفهم بالغلظ إما لشدة أجسامهم وقوتها وإما لفظاظتهم[٤].

٢- الجامد المشبه بالمشتق في المعنى، وهو ما يفيد في المعنى ما يفيده المشتق كـ اسم الإشارة، وذي بمعنى صاحب»[٥] ففي قوله تعالى: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}[٦] فـ (هذا) اسم إشارة وقع قيدًا بالنعت للفظ (يوم) وإنما جاز النعت به؛ لأنه في معنى المشتق، والتقدير: لقاء يومكم المشار إليه.

وجاء القيد النعت بـ (ذي) كما في قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ}[٧] وقوله تعالى: {اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ}[٨] وكذا في قوله تعالى: {وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}[٩].

النعت والمطابقة

والمطابقة من أهم القرائن اللفظية التي تعين القيد النعت وأشهر ما فيها المطابقة في الإعراب وغيره. والنعت قسمان: نعت حقيقي ونعت سببي.

أولاً - النعت الحقيقي:

وهو ما يفيد معنى في منعوته ويرفع ضميره، ويطابق منعوته في أربعة أشياء من عشرة.

---

(1) من الآية: ١٤ من سورة المؤمنون.
(2) الآيتان: ٤٥-٤٦ من سورة الصافات.
(3) من الآية: ٦ من سورة التحريم.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٢١٣.
(5) راجع: الصبان، حاشية الصبان: ٣/ ٩١.
(6) من الآية: ١٤ من سورة السجدة.
(7) الآية: ١٢ من سورة ص.
(8) من الآية: ١٠٦ من سورة المائدة.
(9) من الآية: ٩٥ من سورة المائدة.

في واحد من التعريف والتنكير (التعيين).

وواحد من التذكير والتأنيث (النوع)

وواحد من الإفراد والتثنية والجمع (العدد)

وواحد من الرفع والنصب والجر. (الإعراب).

ومن ذلك قوله تعالى: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}[1] فـ (نضاختان) مقيد قيد المبتدأ المؤخر (عينان) وقد طابقه في التنكير والتأنيث والتثنية والرفع، وكما هو واضح من الآية أنه أفاد التخصيص.

وقوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}[2] فـ (مكرمون) نعت لـ (عباد)، و(عباد) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: بل هم عباد. وقد جاء النعت في الآية جمع مذكر سالم.

وفي قوله تعالى: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}[3] جاء النعت مقيدًا للخبر (أمم) وهو جمع تكسير.

ثانيًا: النعت السببي

وهو ما يفيد معنى في شيء متعلق بالمنعوت مرفوع به، ويتبع منعوته في اثنين من خمسة: في واحد من التعريف والتنكير، وواحد من وجوه الإعراب.

والنعت السببي يكون مفردًا دائمًا، ويراعى في تذكيره وتأنيثه ما بعده، فهو كالفعل مع الاسم الظاهر وإن كان منعوته على خلاف ذلك، ويمثل له قوله تعالى: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا}[4].

وكذلك قوله تعالى: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا}[5] فـ (مختلف) نعت سببي للمرفوع قبله، وألوانها فاعل لمختلف.

---

(1) الآية: ٦٦ من سورة الرحمن.

(2) الآية: ٢٦ من سورة الأنبياء.

(3) من الآية: ٣٨ من سورة الأنعام.

(4) من الآية: ٧٥ من سورة النساء.

(5) من الآية: ٢٧ من سورة فاطر.

النعت بين الإفراد والتركيب

والنعت في القرآن الكريم يأتي مفردا وجملة وشبه جملة فالمفرد كما في قوله تعالى: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}[١] فـ (عادون) نعت مفرد وقد جاء متمما الفائدة الأساسية وذلك بالاشتراك مع الخبر وهو (قوم) مع أن الأصل في الخبر أن يتم الفائدة وحده، ولكنه في بعض الأحيان لا يتممها إلى بمساعدة لفظ آخر كالنعت.

وجاء – كذلك – جملة مركبة (اسمية أو فعلية) وللنعت بها ثلاثة شروط: شرط في المنعوت وشرطان في النعت.

أما شرط المنعوت فهو أن يكون نكرة لفظًا ومعنى أو معنى. فيمثل للأول قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}[٢] فـ (تجهلون) نعت جملة فعلية وقد جاء متممًا للفائدة الأساسية وذلك بالاشتراك مع ما أصله الخبر وهو (قوم) وقد جاء نكرة لفظًا ومعنى.

ويقع الثاني على قوله تعالى: {وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ}[٣] فـ (الليل) معرف بأل الجنسية[٤]، فهو (نكرة) في المعنى، وجملة (نسلخ) نعت له.

أما شرطا النعت: فأحدهما: أن تكون الجملة مشتملة على ضمير يربطها بالمنعوت. والثاني: أن يكون الجملة خبرية.

وتأتي جملة النعت اسمية أو فعلية.

فالاسمية كما في قوله تعالى: {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}[٥] والفعلية كما في قوله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ}[٦] وكذلك قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا

---

(1) من الآية: ١٦٦ من سورة الشعراء.
(2) الآية: ١٣٨ من سورة الأعراف.
(3) الآية: ٣٧ من سورة يس.
(4) انظر: ابن عقيل، شرح الألفية: ٣/ ١٩٦.
(5) من الآية: ٧ من سورة آل عمران.
(6) من الآية: ٩٨ من سورة يونس.

بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ}[١].

وكما جاء النعت مفردًا وجملة جاء كذلك شبه جملة ظرفًا أو جارًا ومجرورًا. فيمثل للنعت بالظرف قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ}[٢].

ويمثل للنعت بالجار والمجرور قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ}[٣] فـ (من أنفسكم) شبه جملة جاء نعتًا مقيدًا للمسند إليه في الجملة وهو (رسول).

حذف المنعوت

ويحذف المقيد المنعوت، وذلك إذا كان معلومًا من السياق، وعندئذ يقوم القيد النعت مقامه، ويمثل له قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ}[٤] فـ (الجوار) قيد وصف به منعوت محذوف تقديره: السفن الجوار، وحسن حذفه قوله تعالى (في البحر)[٥] ولا يخفى أن المقيد (المنعوت) هذا هو أحد ركني الإسناد في الجملة.

وإذا كان النعت جملة أو ظرفًا اشترط بعض النحاة لجواز حذف منعوته أن يكون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بمن أو في[٦] كما في قوله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ}[٧] وتقدير المحذوف: قوم يحرفون فالنعت في الآية جملة.

وكذلك قوله تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا}[٨] أي: ومنا فريق دون ذلك، فالنعت في الآية ظرف.

---

(1) من الآيتين: ٣٦-٣٧ من سورة النور.
(2) من الآية: ١٦٩ من سورة آل عمران.
(3) من الآية: ١٢٨ من سورة التوبة.
(4) الآية: ٣٢ من سورة الشورى.
(5) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٩/ ٣٤٠.
(6) انظر: للسيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٥٦ وما بعدها.
(7) من الآية: ٤٦ من سورة النساء.
(8) الآية: ١١ من سورة الجن.

المبحث الثاني

التقييد بالتوكيد

التوكيد وسيلة من وسائل تقييد الجملة بالتبعية. والتوكيد إما أن يكون بتكرار المؤكد وهو التوكيد اللفظي، وإما أن يكون بألفاظ معينة ومحددة وهو التوكيد المعنوي، وفي كلتا الحالتين تقيد الجملة اسمية كانت أو فعلية. والتقييد بالتوكيد يكون لركن من ركني الإسناد، أو يكون لعنصر من مكملات الجملة أو يكون للجملة نفسها عن طريق تكرارها، وهذا لا يتأتى إلا بالتوكيد اللفظي.

المصطلح

يقال توكيد من وكد وتأكيد من الفعل أكد. لغتان لمصدر[١] وهو – كما يعرفه ابن هشام –: تابع يذكر تقريرا لمتبوعه لرفع احتمال. أو هو تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول[٢] ويؤتي به للأيضّاح والبيان وإزالة اللبس[٣].

الصيغة

والتوكيد نوعان: معنوي ولفظي

أولاً - التوكيد المعنوي

ويكون بألفاظ معينة، وهي: النفس والعين وكلا وكلتا وكل وجميع وأجمع وجمعاء وعامة وأكتع وأبصع.. ويجب اتصال بعضها بضمير مطابق للمؤكد.

ولم يرد في الاستعمال القرآني التوكيد بالنفس والعين، وإنما ورد لفظ (أنفس) جمع نفس محتملاً أن يكون توكيدًا في قوله تعالى: {**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ**}[٤].

---

(1) راجع: السيوطي: همع الهوامع: ٣/ ١٦٤.
(2) ابن هشام، شذور الذهب: ١٠٤.
(3) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل: ٣/ ٤٢.
(4) من الآية: ٢٢٨ من سورة البقرة.

وفي ذلك قال أبو حيان: وبأنفسهن متعلق بيتربصن، وظاهر الباء مع يتربص أنها للسبب، أي: من أجل أنفسهن.. ويجوز هنا أن تكون زائدة للتوكيد، والمعنى: يتربصن أنفسهن، كما تقول: جاء زيد بنفسه، وجاء زيد بعينه، أي: نفسه وعينه، ولا يقال: إن التوكيد هنا لا يجوز؛ لأنه من باب توكيد الضمير المرفوع المتصل، وهو النون التي هي ضمير الإناث في يتربصن، وهو الذي يشترط فيه أن يؤكد بضمير منفصل، ليصبح التركيب: يتربصن هن بأنفسهن؛ لأن هذا التوكيد، لما جر بالباء خرج عن التبعية، وفقدت العلة فيه، العلة التي لأجلها امتنع أن يؤكد الضمير المرفوع المتصل حتى يؤكد بمنفصل إذ أريد التوكيد للنفس والعين[1].

ويحتمل أن يكون من التوكيد بلفظ (أنفس) ما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[2].

فلفظ (أنفس) يحتمل أن يكون توكيدًا للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ}[3] وذلك لقصر الظلم عليهم في الآيتين.

ولم يرد في لغة القرآن الكريم التوكيد بالقيدين (كلا وكلتا) وإنما جاء (كلا) معطوفًا على الفاعل أو فاعلاً لفعل محذوف، وذلك في قوله تعالى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا}[4].

وجاءت الجملة في لغة القرآن الكريم مقيدة بالقيد (كل)، وذلك ليؤكد الشمول ودفع توهم عدمه، قال تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}[5] فقد وقع قوله تعالى (كله) قيدًا بالتوكيد؛ لدفع توهم عدم الشمول.

ويجوز إذا أريد تقوية التوكيد أن يتبع القيد (كله) بـ (أجمع) و(كلها) بـ (جمعاء)

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: ٢/ ٤٥٤.
(2) الآية: ٤٤ من سورة يونس.
(3) الآية: ٧٦ من سورة الزخرف.
(4) من الآية: ٢٣ من سورة الإسراء.
(5) من الآية: ١٢٣ من سورة هود.

و(كلهم) بـ (أجمعين) و(كلهن) (بجمع)[١]. وقد يؤكد بهن وإن لم يتقدم عليهن القيد (كل). وقد ورد للحالتين استعمال في لغة القرآن الكريم.

قال أبو حيان: وقد كثر التوكيد بـ (أجمعين) غير تابع كلهم في القرآن، فكان ذلك حجة على ابن مالك في زعمه أن التأكيد بأجمعين قليل، وأن الكثير استعماله تابعًا لكلهم[٢].

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}[٣] فقد أكد سجود الملائكة بمقيدين، دل المقيد الأول كلهم على دفع توهم عدم الشمول، ودل الثاني أجمعون على اجتماعهم على السجود، وأنهم لم يسجدوا متفرقين، بل سجدوا دفعة واحدة، وبهذين المقيدين قد ازداد تقرير المعنى في الذهن، وتمكن في النفس[٤].

أما عن مجيء (أجمعين) مقيدًا من غير أن يكون تابعًا للقيد (كل) فيمثله قوله تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ.وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ}[٥] فقد وقع قوله تعالى: (أجمعون) قيدًا بالتوكيد لما ينوب عن الفاعل.

ثانيًا – التوكيد اللفظي

ويكون بإعادة اللفظ وتكراره سواء أكان اسمًا أم فعلاً.. أم جملة.

وهذا النوع من التوكيد بصورته اللفظية قليل نسبيا في لغة القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: {إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا}[٦] وقوله تعالى: {كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا}[٧] وكذلك قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[٨].

---

(1) راجع: السيوطي في الهمع: ٣/ ١٦٧.
(2) أبو حيان: البحر المحيط: ٧/ ٤٥٤.
(3) الآية: ٣٠ من سورة الحجر.
(4) العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٧٤.
(5) الآيتان: ٩٤-٩٥ من سورة الشعراء.
(6) الآية: ٢٦ من سورة الواقعة.
(7) الآية: ٢١ من سورة الفجر.
(8) الآية: ٢٢ من سورة الفجر.

وأكثر ما جاء التوكيد اللفظي في لغة القرآن الكريم في الضمير وهو في كل مواضعه في القرآن جاء بسبب العطف على الضمير المستتر؛ إذ إنه لا يجوز إلا بعد توكيده، وما يقال في الضمير المستتر يقال كذلك مع الضمير المتصل[١].

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ}[٢] وكذا قوله تعالى: {مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ}[٣] حيث وقع الضمير المستتر قيدًا بالتوكيد للضمير المنفصل.

وفي قوله تعالى: {لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ}[٤] وقع الضمير المنفصل (نحن) قيدًا بالتوكيد للضمير المتصل في قوله (وعدنا).

وذهب الدكتور تمام حسان إلى أن إعراب الضمير المنفصل توكيدًا للضمير المستتر في مثل قوله تعالى: {فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ}[٥] ضعيف من وجهين: (الأول): أن الضمير المستتر تدل عليه صيغة الفعل ولا وجود له في الكلام حتى يدعي توكيده. و(الثاني) أن معنى التوكيد معنى اختياري والضمير المذكور في الآية واجب الذكر فلا يتحقق المعنى إلا به. ويقول: أما وظيفة هذا الضمير فيما يبدو فهي التمهيد للعطف إذ لا يقال: اسكن وزوجك الجنة[٦] وذلك في قوله تعالى: {اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}[٧].

وكما يؤكد الاسم بالتقييد في الاستعمال القرآني يؤكد كذلك الفعل وذلك كما في قوله تعالى: {يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ. يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ}[٨] قال أبو حيان: وأقرب التوجيهات أن يكون (يدعو) توكيدًا لـ (يدعو) الأول، فكرر (يدعو) كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا

---

(1) راجع: ابن عقيل، شرح الألفية: ٣/ ٢٣٨ وما بعدها.
(2) من الآية: ٥٨ من سورة طه.
(3) من الآية: ٤٩ من سورة هود.
(4) من الآية: ٨٣ من سورة المؤمنون.
(5) من الآية: ٢٤ من سورة المائدة.
(6) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن: ٢/ ٩ وما بعدها مكتبة الأسرة. الهيئة العامة للكتاب.
(7) من الآية: ٣٥ من سورة البقرة.
(8) الآيتان: ١٢-١٣ من سورة الحج.

يضره وما لا ينفعه[١].

ويجوز توكيد الجملة بمثلها، والأكثر اقتران الجملة المؤكدة بالعاطف وهو (ثم) خاصة، وذلك كما في قوله تعالى: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ.ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ}[٢].

قال أبو حيان معلقًا: وهذا التكرار توكيد في الوعيد، وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل، أي سيعلمون ما يحل بهم[٣].

وفي قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[٤] كررت الجملة المؤكدة بالقيد (إن) -كما قال أبو حيان-: للمبالغة في الحصول على اليسر. ولما كان اليسر يعتقب العسر من غير تطاول أزمان، جعل كأنه معه، وفي ذلك تبشير لرسول الله ﷺ بحصول اليسر عاجلاً. والظاهر أن التكرار للتوكيد[٥].

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٤٩٠.
(2) الآيتان: ٤-٥ من سورة النبأ.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٣٨٤.
(4) الآيتان: ٥-٦ من سورة الشرح.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٥٠١.

المبحث الثالث

التقييد بعطف البيان

من المقيدات التي تقيد بها الجملة اسمية كانت أو فعلية عطف البيان.

المصطلح

عطف البيان تسمية بصرية، ويسميه الكوفيون الترجمة وسُمي بيانا؛ لأنه تكرار للأول لزيادة بيان، فكأنه رد عل نفسه مع زيادة أيضًاح[1].

تعريفه

ويعرفه النحاة بأنه: التابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة، وتخصيصه إن كان نكرة[2] ويخالفه في أنه لا يكون إلا جامدا، كما أنه يوضح متبوعه بمرادفه.

أي أنه يشبه النعت بمطابقته ما قبله واتباعه في أربعة أشياء من عشرة، ويخالفه في أنه – كما قرر الجمهور – لا يكون إلا جامدا، والنعت كما هو معروف يأتي مشتقًا ومؤولاً بالمشتق، ويخالفه أيضًا في أنه يكشف المتبوع بنفسه لا بمعنى فيه ولا في سببه[3].

هذا، ومن لم يثبت من النحاة عطف البيان جعل ذلك من البدل المطابق[4].

فشرط العطف – كما يوضح الدكتور طه الجندي - أن يطابق متبوعه في جهات التطابق المنصوص عليها، فإذا جاء تابع مخالف متبوعه في واحد منها ذهب إلى البدلية[5].

---

(1) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٥٩.
(2) ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣١٠.
(3) راجع: الصبان، حاشية الصبان: ٣/ ١٢٦.
(4) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٦١.
(5) د. طه الجندي، ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني: ٣٣٤.

عطف البيان والدلالة

وتقيد الجملة بعطف البيان لأغراض منها:

١- التوضيح: ويكون في المعارف، وهو الأكثر، وذلك كما في قوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}[١] وقوله تعالى: {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ.رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}[٢] ولعلنا نلحظ – إذا أنعمنا النظر – قيمة تقييد الجملة بالمقيد (رب موسى وهارون) من (قالوا آمنا برب العالمين) حيث لو اقتصر على قوله تعالى (برب العالمين) قد يتوهم أنهم آمنوا بفرعون ولم يكن ذلك موضحا أنهم يقصدون الإيمان بالحق سبحانه وتعالى.

٢- التخصيص: وذلك إذا كان المتبوع نكرة، وذلك كما في قوله تعالى: {وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ}[٣] وقد يراد بهذا القيد التحقير والتنفير، لأنه أبهم في قوله تعالى: {وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ} ثم بين بقوله صديد وهو ما يسيل من أجساد أهل النار من دم وقيح، وفي هذا من التقبيح والتحقير والتنفير ما فيه.

٣- المدح: وتتضح هذه الدلالة قوية واضحة في قوله تعالى: {جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ}[٤] إذ لو تأملنا قوله تعالى: (الكعبة البيت الحرام) لاتضح لنا قيمة القيد (البيت الحرام) وهو عطف بيان، حيث إنه أضاف معنى جديدا زيادة على التوضيح، وهو المدح والتعظيم. ويرجح المدح لا التوضيح؛ لأن (البيت الحرام) مشهور ولا يحتاج إلى بيان وأيضًاح، وإنما جاء عطف البيان مقيدًا للمدح؛ ولأن فيه معنى الحرمة والاحترام، فهو حرام بحرمته تعالى يوم أن خلق السماوات والأرض.

عطف البيان بين الجمود والاشتقاق

المشهور في القيد (عطف البيان) أنه يجري في الجوامد، وذلك كما في قوله

---

(1) من الآية: ٦٥ من سورة الأعراف، والآية: ٥٠ من سورة هود.
(2) الآيتان: ١٢١-١٢٢ من سورة الأعراف.
(3) من الآية: ١٦ من سورة إبراهيم.
(4) من الآية: ٩٧ من سورة المائدة.

تعالى: {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ}[1] فـ (زيتونة) عطف بيان لشجرة.

وأجاز الزمخشري جريانه في المشتقات، وجعل منه قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ}[2] إذ إنه قال: فإن قلت: (ملك الناس إله الناس) ما هما من رب الناس؟ قلت هما عطف بيان، كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس؛ لأنه قد يقال لغيره رب الناس، كقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ}[3] وقد يقال ملك الناس، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان[4] واختار أبو حيان أنهما صفتان[5].

عطف البيان بين التعريف والتنكير

أجاز الكوفيون جريان القيد (عطف البيان) في المعرفة والنكرة والبصريون لا يجيزونه في النكرة[6] ورأى الكوفيين – كما يرى البحث – أظهر ويؤيده قوله تعالى: {مِنوَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ}[7] فـ (صديد) عطف بيان لماء وذلك؛ لأنه لما أبهم الماء بينه بقوله (صديد).

وقد ذهب أكثر النحاة إلى أنه لا يجوز في عطف البيان التخالف بين المعطوف والمعطوف عليه في التعريف والتنكير. بَيْدَ أن الزمخشري أجاز ذلك مستدلاً بقوله تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ}[8] حيث عد (مقام إبراهيم) وهو معرفة عطف بيان لـ (آيات) وهي نكرة[9].

---

(1) من الآية: ٣٥ من سورة النور.
(2) الآيات: ١-٣ من سورة الناس.
(3) من الآية: ٣١ من سورة التوبة.
(4) الزمخشري، الكشاف: ٤/ ٣٠٢.
(5) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٥٧٨.
(6) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٦٠.
(7) الآية: ١٦ من سورة إبراهيم.
(8) من الآية: ٩٧ من سورة آل عمران.
(9) راجع: الزمخشري، الكشاف: ١/ ٤٤٧.

المبحث الرابع
التقييد بعطف النسق

العطف وسيلة من وسائل تقييد الجملة اسمية كانت أو فعلية، وهـذا لا يتـأتى إلا مع قرينة لفظية معروفة هي أداة العطف، والعطف بالأداة يكون بين اسم واسم أو بين فعل وفعل أو بين جملة وجملة.

المصطلح

ويسمى (عطف النسق) من نسقت الكلام نسقًا، وذلك إذا أتيت به متتابعًا، وكثيرا ما يسميه البصريون باب الشركة أو العطف بالحرف، أما تسميته بعطف النسق إنما هي تسمية كوفية[1]. وكما يرى الدكتور مهدي المخزومي: أن المصطلح الكوفي أدق من المصطلح البصري لاختصاره، وغنائه عن التخصيص والتقييد[2].

تعريفه

جاء في أوضح المسالك أن العطف: تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف[3]التي سيأتي بيانها وهي قسمان:

أحدهما: ما يقتضي التشريك في اللفظ والمعنى إما مطلقًا، وهو الواو والفاء وثم وحتى، وإما مقيدًا وهو أو وأم.

والثاني: ما يقتضي التشريك في اللفظ دون المعنى إما؛ لأنه يثبت لما بعده ما انتفى عما قبله وهو بل ولكن، وإما؛ لأنه العكس وهو. لا وليس[4].

ومن ثم فحروف النسق عشرة، وكلها تعطي الثاني حكم الأول في الإعراب، كما أنها تجعل الثاني تابعًا للأول مقيدًا له بالتبعية. وتختلف معاني هذه الحروف كل

---

(1) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٨٥، والأزهري، شرح التصريح: ٢/ ١٣٤.

(2) د. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٣١٥. القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

(3) ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣١٧.

(4) المصدر السابق: ٣/ ٣١٧ وما بعدها.

بما يحمله من دلالة. هذا، والمستخدم منها في لغة القرآن الكريم ما يلي:

(الواو)

ومعناها مطلق الجمع بين المتعاطفين من غير دلالة ترتيب، هذا على مذهب الجمهور، ومذهب الكوفيين أنها تفيد الترتيب»[١].

وحجة الجمهور فيما ذهبوا إليه من أن معناها (مطلق الجمع) أنها[٢] تعطف الشيء على مصاحبه كما في قوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ}[٣] أي: نوحًا عليه السلام ومن آمن معه من أهله؛ إذ كان إنجاؤهم في وقت واحد.

وعلى سابقه كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}[٤] فـ (إبراهيم) معطوف على(نوحًا) والمعطوف عليه سابق في زمن الإرسال على المعطوف؛ لأن نوحًا أول الرسل عليهم السلام أجمعين.

وتعطف – كذلك – الشيء على لاحقه، وذلك كما في قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ}[٥].

ومعنى أنها لمطلق الجمع: إفادتها اجتماع المتعاطفين بها في الإعراب والحكم المترتب عليه من غير تقييد ما اجتمعا فيه بحصول في زمان واحد، وقد يسبق أحدهما الآخر فيه[٦].

وقد وقع خلاف بين العلماء في إطلاق المصطلح الملائم للمعنى التي تؤديه (الواو) في التراكيب، فالمشهور أنها لمطلق الجمع، لكن بعض العلماء – كما يحكي ابن هشام – ذكر أنها للجمع المطلق، وقد اعترض ابن هشام على ذلك، ورأى أنه لا يجب تقييد الجمع بقيد الإطلاق، وإنما هي للجمع لا بقيد[٧].

---

(1) انظر: ابن عقيل، شرح الألفية: ٣/ ٢٢٦.
(2) راجع: الروماني، معاني الحروف: ٥٩ تحقيق د. عبد الفتاح شلبي. القاهرة. دار النهضة.
(3) من الآية: ١٥ من سورة العنكبوت.
(4) من الآية: ٢٦ من سورة الحديد.
(5) من الآية: ٣ من سورة الشورى.
(6) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٨٥.
(7) راجع: ابن هشام، مغني اللبيب: ٢/ ٤٠٩.

ومما يدل على أنها لا تفيد الترتيب ما وقع في لغة القرآن الكريم – إذ إن أساليبه أعلى أساليب العربية فصاحة – من تقديم المعطوف بالواو مرة وتأخيره مرة أخرى، وذلك في موضعين مختلفين من القرآن الكريم مع أن القصة فيها واحدة، وذلك في مثل قوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ}[1] وقوله تعالى: {وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا}[2].

وقد ذهب بعض النحاة والعلماء إلى أنها تفيد الترتيب، و منهم الإمام الشافعي وقطرب[3]. وذهب الأزهري إلى أنها لا تدل على الترتيب إلا بقرينة[4]. والحق أنه إذا كانت هناك قرينة تثبت الترتيب فلا مانع من القول به.

وثمة قرائن تثبت أنها للترتيب، وذلك كما هو واضح من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ}[5] وقوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}[6] وكذلك قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}[7].

ومشروعية السعي على قول كافة العلماء البداءة بالصفا، وروي عن أبي حنيفة أنه نزله بمنزلة الترتيب في أعضاء الوضوء، ولعل عدم الترتيب يرجع إلى وجود ضمير المثنى، إذ بتقييده لا يدل على البداءة بالصفا[8].

وتختص (الواو) بأحكام لا يشاركها فيها غيرها من حروف النسق حيث اختصت بعطف ما لا يستغني عنه، نحو قولنا: اختصم زيد وعمرو، وتصارع أمير

---

(1) من الآية: ٥٨ من سورة البقرة.
(2) من الآية: ١٦١ من سورة الأعراف.
(3) راجع: المرادي، الجني الداني في حروف المعاني: ١٥٨ تحقيق د. فخر الدين قباوة. بيروت. دار الأفاق العربية. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
(4) راجع: الأزهري، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ١٠٨. القاهرة. المطبعة الأزهرية. ١٣٢٩هـ.
(5) من الآية: ٧٧ من سورة الحج.
(6) الآيتان: ١-٢ من سورة الزلزلة.
(7) من الآية: ١٥٨ من سورة البقرة.
(8) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٣/ ٦٧.

المسلمين وقائد الفرنج، وهذان زيد وعمرو[١].

ومما تفيده (الواو) أنه يؤتي بها لتفصيل المسند إليه، وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}[٢].

ولعل المتأمل يلحظ كيف أوثر ذكر فرعون وهامان معطوف أحدهما على الآخر على سبيل التفصيل، ثم عطف عليهما جنودهما إجمالاً؛ لأن فرعون وهامان أساس الخطيئة، بل أساس الفساد، أما جنودهما فهم تبع لهما ومقتدون بهما[٣].

ومن ذلك أيضًا أي: تفصيل المسند إليه قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ}[٤].

ونلحظ التفصيل كذلك في قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}[٥] حيث وقع قوله (زوجك) قيد بالعطف، وذلك فيه إقامة للغرض وهو تفصيل المسندإليه باختصار.

وقرر النحاة أن العطف على الضمير المستتر لا يتأتى إلا بتوكيده، وأن المعطوف لا يكون تابعًا إلا بنية تكرار العامل في المعطوف عليه[٦] أي: تكرار الفعل الفاعل (اسكن) وهو عامل المعطوف عليه مع المعطوف الذي هو (زوج).

ويرى الدكتور أحمد عبد العظيم أن هذا، أي ما ذهب إليه النحاة غير مقبول، لأنه يؤدي إلى إنتاج جملة على الصورة التالية (اسكن أنت واسكن زوجك) وهي في نظره جملة غير مقبولة، ثم راح يعلل لذلك بأن العامل المحذوف ليس الفعل (اسكن) بصيغته، وإنما هو (ليسكن) ومضى مبينًا أن هذا يعد خروجًا بالقاعدة عن مفهومها الذي يقتضي تكرار العامل؛ إذ العامل في المعطوف عليه ليس مطلق صيغة

---

(1) انظر: لابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣٢٢.
(2) من الآية: ٨ من سورة القصص.
(3) انظر: د. قيود، من بلاغة النظم القرآني: ٦٣، القاهرة. مطبعة الحسين. الأولى ١٤١٣هـ.
(4) من الآية: ١٢٧ من سورة البقرة.
(5) من الآية: ٣٥ من سورة البقرة.
(6) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٨٨.

تفيد الأمر، وإنما صيغة فعل الأمر الواحد المخاطب المذكر[١].

وقد لا يتفق البحث وما ذهب إليه الدكتور أحمد عبد العظيم، وإن كان مقبولاً من حيث الوصف، وذلك يوجهه أمران:

الأول منهما: أن قوله: إن تكرار الفعل (اسكن) الذي هو عامل في المعطوف عليه مع المعطوف الذي هو زوج يؤدي إلى إنتاج جملة غير مقبولة مرده أن النحاة قالوا: على نية تكرار العامل، وهي في ذاتها صورة معنوية وإن كانت لفظية في الذهن؛ إذ تبقى صورة الجملة على حالتها دون أن يمس تركيبها المحذوف مسنده.

والثاني: أن قوله: إن تكرار العامل إنما هو (وليسكن) غير مقبول؛ لأنه خروج بالنص عن سلامة اللغة فمرده أن الأمر قبل أن يكون في صورته اللفظية هو معنى وأيا ما كانت الصيغة التي يقدرها النحاة (اسكن أو ليسكن) فإنها في كلتا الحالتين ستؤدي الغرض وهو الأمر، وخاصة أنها في الحالتين أي صيغة الأمر ستظل في حيز العامل الواجب حذفه.

(الفـــــاء)

من الحروف العاطفة التي تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى (الفاء)، وهي كما قرَّر النحاة تفيد ثلاثة أمور:

أولها: الترتيب (معنويًا) وذلك كما في قوله تعالى: {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}[٢] حيث وقع قوله تعالى: (قضى عليه) قيدًا بالعطف، والغرض منه الترتيب و(ذكريا): وهو عطف مفصل على مجمل، ومثله قوله تعالى: {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً}[٣] والمراد بكون الترتيب ذكريًا أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب الذكر لفظًا لا أن معنى الثاني قد وقع بعد زمان وقوع الأول[٤].

---

(1) انظر: د. أحمد عبد العظيم، القاعدة النحوية دراسة نقدية: ١٧٨. القاهرة. دار الثقافة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(2) من الآية: ١٥ من سورة القصص.

(3) من الآية: ١٥٣ من سورة النساء.

(4) راجع: د. هيود، مصباح السالك إلى أوضح المسالك: ٣/ ٣٢٣.

وقال ابن هشام: وقال الفراء إنها لا تفيد الترتيب مطلقًا واحتج بقوله تعالى: {أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ}[1] وأجيب بأن المعنى: أردنا إهلاكها، وبأنها للترتيب الذكري[2] أي: لترتيب القول فكأنه أخبر عن قرى كثيرة أنه أهلكها ثم قال فكان من أمرها مجيء البأس.

والثاني: التعقيب قال المبرد: وهي توجب أن الثاني بعد الأول، وأن الأمر بينهما قريب، نحو: رأيت زيدا فعمرا، ودخلت مكة فالمدينة. وقال ابن هشام: إن التعقيب في كل شيء بحسبه ألا ترى أنه يقال: تزوج فلان فولد له إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، وإن كانت متطاولة، ودخلت البصرة فبغداد إذا لم تقم في البصرة ولا في البلدين[3].

ففي قوله تعالى: {فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[4] وقع قوله تعالى: فلما عتوا قيدًا بالعطف على قوله تعالى {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ}[5] بالفاء للدلالة على الترتيب والتعقيب، والغرض هو بيان آخر ما انتهى إليه هؤلاء من العصيان. وما قيل في قوله تعالى السابق يقال كذلك في قوله تعالى: {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ.فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ}[6].

والثالث: (السببية) وذلك غالب في عطف الجمل والصفات، ويمثل للأول قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[7] ويمثل للثاني قوله تعالى: {لآَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ.فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ.فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ.فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}[8] والمراد بالسببية أن يكون ما بعدها مسببًا عما قبلها.

---

(1) من الآية: ٤ من سورة الأعراف.
(2) راجع: لابن هشام، مغني اللبيب: ١/ ١٨٣، والسيوطي، الإتقان: ١/ ١٦٦.
(3) انظر: لابن هشام، المغني: ١/ ١٨٤.
(4) الآية: ١٦٦ من سورة الأعراف.
(5) من الآية: ١٦٥ من سورة الأعراف.
(6) الآيتان: ٢٦-٢٧ من سورة الذاريات.
(7) من الآية: ٣٧ من سورة البقرة.
(8) الآيات: ٥٢-٥٥ من سورة الواقعة.

(ثـــــم)

من الحروف العاطفة التي تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى (ثم) وتفيد ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة وفي كل شيء من الثلاثة خلاف[١].

أما الأول: وهو التشريك في الحكم فقد ذهب الكوفيون والأخفش إلى أنه قد يتخلف بأن تقع زائدة فلا تكون عاطفة البتة[٢]، وحملوا على ذلك قوله تعالى: **{حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}**[٣].

وذهب أبو حيان إلى أنها: ليست زائدة؛ لأن جواب إذا محذوف تقديره: تاب عليهم، وما بعد (ثم) معطوف على هذا الجواب المقدر تأكيدا لتوبة الله عليهم[٤].

أما الثاني والثالث، وهما الترتيب والمهلة فخالف بعضهم في اقتضائها إياهما تمسكا بقوله تعالى: **{خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}**[٥].

وأجيب على ذلك بأن العطف على محذوف، أي: من نفس واحدة أنشأها، ثم جعل منها زوجها، أو بأن الذرية أخرجت من ظهر آدم عليه السلام كالذر ثم خلقت حواء من قصيراه، أو بأن (ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم[٦].

أو؛ لأن خلق حواء من آدم لما لم تجر العادة بمثله جيء بثم إيذانًا بترتيبه وتراخيه في الإعجاب، وظهور القدرة لا لترتيب الزمان وتراخيه[٧].

وجاءت (ثم) في لغة القرآن الكريم مستكملة فوائدها الثلاث وذلك في قوله تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**[٨].

---

(1) راجع في ذلك، السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٩٥.
(2) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ٣/ ١٤٠.
(3) من الآية: ١١٨ من سورة التوبة.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: ٥/ ٥٢٠.
(5) من الآية: ٦ من سورة الزمر.
(6) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٩٥.
(7) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ١/ ١٣٦.
(8) الآية: ٣١ من سورة البقرة.

قال أبو حيان: ثم حرف تراخ ومهلة، علم آدم ثم أمهله من ذلك الوقت إلى أن قال أنبئهم بأسمائهم؛ ليقرر ذلك في قلبه، ويتحقق المعلوم، ثم أخبره عما تحقق به واستيقنه، وأما الملائكة فقال لهم على وجه التعقيب دون مهلة (أنبئوني) فلما لم يتقدم لهم التعريف لم يخبروا، ولما تقدم لآدم التعليم أجاب وأخبر ونطق إظهارًا لعنايته السابقة به سبحانه[1].

وفي قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}[2] وقع قوله سبحانه: (استوى) – الجملة الفعلية – قيدًا بالعطف على التراخي المفاد من (ثم) إلا أنه تراخ في الرتبة، فكما أن العطف بها يفيد التراخي في الزمان، فإنه – أيضًا – يفيده في الرتبة. قال أبو حيان معقبًا: والعطف بثم يقتضي التراخي في الزمان ولازمان إذ ذاك، فقيل أشار بـ (ثم) إلى التفاوت الحاصل بين خلق السماء والأرض في القدر، وقيل لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال من جعل الرواسي والبركة فيها، وتقدير الأقوات عطف بـ(ثم) إذ بين خلق الأرض والاستواء تراخ[3].

(أو)و (أم):

وهما من الحروف التي تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى مقيدًا، وشرطهما ألا يقتضيا إضرابًا.

(أو)

وهي من الحروف التي تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى مقيدة بعدم الإضراب، وقد ورد لها معاني متعددة في لغة القرآن الكريم، منها:

١- الشك من المتكلم: ويتضح ذلك في قوله تعالى: {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}[4] حيث وقع قوله سبحانه (بعض يوم) قيدًا بالعطف، والغرض منه الشك،

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: ١/ ٢٣٦.
(2) من الآية: ٢٩ من سورة البقرة.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ١/ ٢١٦ وما بعدها.
(4) من الآية: ١٩ من سورة الكهف.

وقد يراد به التفصيل، حيث قال بعض أصحاب الكهف: (لبثنا يومًا) وقال بعضهم: (لبثنا بعض يوم)[١].

٢- التخيير: وهي الواقعة بعد طلب يمتنع فيه الجمع، نحو: تزوج هندا أو أختها. ويمثل له قوله تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}[٢] فقد وقع قوله: (صدقة – نسك) قيدًا بالعطف، والغرض من ذلك التخيير مع أن الجمع بين الصيام والصدقة والنسك غير ممتنع، وقد وجه ابن هشام ذلك: بأنه لا يجوز الجمع بين الصيام والصدقة والنسك على أنهن الفدية، بل تقع واحدة منهن، والباقي قربة مستقلة خارجة عن ذلك[٣].

٣- الإباحة: وهي الواقعة بعد طلب يجوز فيه الجمع، نحو: ذاكر نحوًا أو عروضا، وذلك كما في قوله تعالى: {وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ}[٤] حيث وقع قوله سبحانه: (بيوت آبائكم) قيدًا بالعطف، والغرض منه الإباحة، ويجوز فيه الجمع. وقال ابن هشام: وإذا دخلت (لا) الناهية امتنع فعل الجميع كما في قوله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}[٥] إذ المعنى لا تطع أحدهما[٦].

٤- التفصيل بعد الإجمال: كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا}[٧] أي قال بعضهم كذا وبعضهم كذا.

٥- وتأتي بمعنى الواو: أي لمطلق الجمع، كما في قوله تعالى: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[٨].

---

(1) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ١٥٥.
(2) من لآية: ١٩٦ من سورة البقرة.
(3) راجع: ابن هشام، مغني اللبيب: ١/ ٧٤.
(4) من الآية: ٦١ من سورة النور.
(5) من الآية: ٢٤ من سورة الإنسان.
(6) راجع: ابن هشام، المغني: ١/ ٧٤.
(7) من الآية: ١٣٥ من سورة البقرة.
(8) الآية: ٤٤ من سورة طه.

(أم)

قسم نحاتنا العرب (أم) إلى قسمين: متصلة ومنقطعة، أما المتصلة فنوعان:

أولهما: المسبوقة بهمزة التسوية، وهي الداخلة على جملة في محل مصدر، وتكون هي والمعطوف عليها جملتين فعليتين أو اسميتين أو مختلفتين[١]. فيمثل للفعلتين قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ}[٢] حيث وقع قوله تعالى: صبرنا قيدًا بالعطف بـ (أم) المتصلة، والمقيدة في أسلوبها بهمزة التسوية، والغرض من هذا العطف كما هو واضح بيان مدى اعتقادهم بأن عذاب الله تعالى واقع بهم لا محالة يستوي في ذلك صبرهم وعدمه[٣].

ويمثل للمختلفتين قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}[٤] أي دعاؤكم للأصنام وصمتكم عنها سيان. فقد وقع قوله تعالى: أنتم صامتون»وهو جملة اسمية قيدًا بالعطف على الجملة الفعلية دعوتموهم»؛ لأن الاسمية في معنى الفعلية والتقدير أم صمتم.

وثانيهما: المسبوقة بهمزة يطلب بها وبـ (أم) التعيين والتحديد لأحد الشيئين بحكم معلوم الثبوت، وتقع غالبا بين فردين يتوسط بينهما ما لا يسأل عنه[٥].

ففي قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا}[٦] نجد أن السؤال وقع عن المسند إليه ولم يقع عن المسند وهو (أشد خلقا) لأن شرط الهمزة المعادلة (أم) أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، ويلي (أم) المعادل الآخر ليفهم السامع من أول الأمر ما هو مطلوب تعينه. قال أبو حيان إبان تعليقه على الآية: فالمسئول عن هذا يجب ولابد السماء؛ لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تأثرها[٧].

---

(1) راجع: السيوطي في الهمع: ٣/ ١٩٧.
(2) من الآية: ٢١ من سورة إبراهيم.
(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٨١٨.
(4) من الآية: ١٩٣ من سورة الأعراف.
(5) راجع: ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣٣٣.
(6) الآية: ٢٧ من سورة النازعات.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٤٠٠.

وتقع (أم) كذلك بين مفردين يتأخر عنهما ما لا يسأل عنه كما في قوله تعالى: {وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ}[1].

هذا، وسميت متصلة؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وسميت – أيضًا – معادلة لمعادلتها الهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول والاستفهام في النوع الثاني[2].

أما (المنقطعة) وهي القسم الثاني من أقسام (أم) فسميت بذلك؛ لأن الجملة بعدها مستقلة، ولا يفارقها معنى الإضراب، فهي كـ (بل) وتقع بعد الخبر المحض – قال تعالى: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا}[3] فـ (الهمزة) في قوله تعالى: (ألهم) للإنكار إذ إنها بمعنى النفي، والمتصلة لا تقع بعده. قال أبو حيان: وأم هنا منقطعة فتقدر بـ (بل).. وهو إضراب على معنى الانتقال لا على معنى الإبطال، وإنما هو تقدير على نفي كل واحدة من هذه الجمل، وكان ترتيب هذه الجمل هكذا؛ لأنه بدئ بالأهم ثم اتبع بما هو دونه إلى آخرها[4].

---

(1) من الآية: ١٠٩ من سورة الأنبياء.
(2) راجع: السيوطي في الهمع: ٣/ ١٩٧.
(3) من الآية: ١٩٥ من سورة الأعراف.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: ٥/ ٢٥٢.

المبحث الخامس

التقييد بالبدل

من الوسائل التي تقيد الجملة عن طريق التبعية (البدل) وهو يتبع عنصرا نحويا في الجملة الاسمية أو الفعلية، أي يكون تابعًا مقيدًا لأحد ركني الإسناد أو لشيء من متعلقاتهما.

المصطلح

البدل لغة العوض، وهو اصطلاح البصريين والكوفيين على حد سواء وقال الأخفش: يسمونه التبيين، وقال ابن كيسان: التكرير[1].

تعريفه

وقيل في تعريفه إنه: التابع المقصود وحده بالحكم بلا واسطة[2]. والمتبوع إنما ذكر توطئة له ليكون كالتفسير بعد الإبهام[3].

وتقيد الجملة بالبدل للبيان والأيضاح، وهو المقصود بالحكم بعد الإبهام بخلاف التوابع الأخرى فإنها تتم متبوعها[4].

البدل والمطابقة في الإعراب

والبدل تابع يقيد ما قبله بالتبعية، ويتطابق معه في الإعراب. أما المطابقة في التعريف والتنكير فليست بلازمة، بل ليست شرطًا فيه؛ إذ من الممكن إبدال المعرفة من المعرفة، والنكرة من النكرة، والنكرة من المعرفة، والمعرفة من النكرة[5].

---

(1) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ١٧٦.
(2) ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣٦٢.
(3) انظر: حاشية الأمير علي شرح شذور الذهب: ١٠٨.
(4) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ٣/ ١٨٤.
(5) راجع: ابن يعيش، شرح المفصل: ٣/ ٦٨.

أنواع البدل ودلالته

ويتنوع القيد البدل من حيث دلالته إلى ما يلي:

١- بدل كل من كل: ويسمى – أيضًا – البدل المطابق، وهو بدل الشيء مما يطابق معناه، وقد جاء في لغة القرآن الكريم في صور متعددة، منها:

مجيئه معرفة، والمبدل منه معرفة كذلك، وذلك كما في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[1] فقد وقع قوله: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} قيدًا بالبدل، والبدل في حكم تكرار العامل، فكأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، ولذا فإن البدل في الآية يحقق الغرضين الآتيين:

١- الأيضّاح لما خفي في المبدل منه، فإن قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} أوضح للمراد، وأوفى بأداء الغرض، وكأن المبدل منه وهو قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قد ذكر تمهيدا وتوطئة لذكر البدل.

٢- التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين المنعم عليهم هو المشهود له بالاستقامة؛ لأنه جعل كالتفسير والبيان للمبدل منه، فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه؛ لأن الطريق المستقيم هو طريق المنعم عليه بالإيمان.

وكأن طالب الصراط المستقيم يطلب رفقة يهتدي بهديهم ويستضيء بنورهم، وقد جاء بيان تلك الرفقة الذين أنعم الله عليهم[2] في قوله تعالى: {وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا.وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا.وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}[3].

ومنها: مجيئه نكرة والمبدل منه نكرة أيضًا، وذلك كما في قوله تعالى: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً}[4] فقد وقع قوله تعالى: (رسولاً) قيدًا بالبدل من (ذكرًا) على

---

(1) الآيتان: ٦-٧ من فاتحة الكتاب.

(2) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: ١/١٨.

(3) الآيات: ٦٧-٦٩.

(4) الآيتان: ١٠-١١ من سورة الطلاق.

حذف مضاف تقديره: ذكر رسول، وقيل: رسولاً بمعنى رسالة فيكون بدلاً من (ذكرًا) من غير حذف[١].

ومنها: مجيئه نكرة والمبدل منه معرفة، ويمثله قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللهِ}[٢] حيث وقع قوله (رسول) قيدًا بالبدل من الفاعل وهو (البينة).

ومنها: مجيئه معرفة والمبدل منه نكرة، ويمثله قوله تعالى: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}[٣] فقد وقع قوله تعالى: (ذكرى الدار) قيدًا بالبدل المطابق، والمبدل منه (خالصة).

ومنها: مجيئه اسمًا ظاهرًا بدلاً من ضمير، وذلك كما في قوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى.نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى}[٤] فـ (لظى) وقع قيدًا بالبدل من ضمير الغائب في قوله تعالى: (إنها) العائد على النار، و(لظى) اسم من أسماء النار، وذلك على جعل (نزاعة) خبرًا مرفوعًا لـ (إن) على قراءة غير حفص من القراء[٥].

٢- بدل بعض من كل: وهو بدل الجزء من كل، قليلاً كان ذلك الجزء أو مساويًا له أو أكثر منه، ويشترط فيه بضمير يعود على المبدل منه مذكورًا كان أو مقدرًا[٦]، وذلك إذا كان مفردًا.

ففي قوله تعالى: {لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ}[٧] وقع قوله تعالى: (بعضه) قيدًا بالبدل من الخبيث وهو بدل بعض من كل، وقد اشتمل على ضمير يعود على المبدل منه وهو (الهاء).

وفي قوله تعالى: {وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}[٨] وقع قوله

---

(1) راجع: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن: ٤/ ٤٥٥ وما بعدها.
(2) الآيتان: ١-٢ من سورة البينة
(3) من الآية: ٤٦ من سورة ص.
(4) الآيتان: ١٥-١٦ من سورة المعارج.
(5) راجع: ابن الجزري، النشر: ٢/ ٣٩٠.
(6) انظر: لابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣٦٥.
(7) من الآية: ٣٧ من سورة الأنفال.
(8) من الآية: ٩٧ من سورة آل عمران.

تعالى: (من) اسم موصول قيدًا بالبدل من الناس بعض من كل، والضمير العائد على المقيد (المبدل منه) محذوف تقديره: من استطاع إليه سبيلاً منهم. وذهب بعض النحاة إلى أن القيد في الآية السابقة بدل كل، واحتج بأن المراد بالناس المستطيع، فهو عام أريد به خاص؛ لأن الله عز وجل لا يكلف الحج من لا يستطيع[١].

وفي قوله تعالى: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ}[٢] وقع قوله تعالى: ثمانية قيدًا بالبدل من حملة وفرشًا في قوله تعالى: {وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا}[٣] والمتأمل يلحظ أن الغرض من القيد (البدل) هو التفصيل بعد الإجمال، فقد أجمل النظم القرآني النعم في (حمولة وفرشًا) ثم فصل ذلك بذكر عدد الأنعام، وهي (ثمانية أزواج) للتأكيد على نعمة الله تعالى، وزيادة في التقرير والتوضيح؛ لأن البدل كالتفسير بعد الإبهام. وقد يكون القيد (ثمانية) منصوب على المفعولية، والتقدير وأنشأ لكم ثمانية أزواج[٤] .فيكون الغرض هو قصد التعيين التي امتن الله تعالى به على عباده.

وفي قوله تعالى: {وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ.أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ.وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}[٥] نلحظ أن قوله تعالى: {أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ} وهو جملة فعلية وقع قيدًا بالبدل، والغرض منه التقوية والتقرير، كما يلاحظ أنه قد أفاد التفصيل والتنصيص[٦].

ومنه كذلك قوله تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ}[٧] فـ (يذبحون) وقع قيدًا وهو جملة فعلية بدل بعض من كل وهو (يسومونكم) لأن الذبح نوع من العذاب.

---

(1) راجع: الأزهري، شرح التصريح: ٢/ ١٥٦.
(2) من الآية: ١٤٣ من سورة الأنعام.
(3) من الآية: ١٤٢ من سورة الأنعام.
(4) انظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣/ ٢٥٤.
(5) الآيات: ١٣٢-١٣٤ من سورة الشعراء.
(6) راجع: الخطيب القزويني، الأيضاح: ٢/ ٩٣، ود. محمد أبو موسى، دلالات التراكيب: ٣٠٣.
(7) من الآية: ٤٩ من سورة البقرة.

٢- بدل اشتمال: وهو بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناه اشتمالا بطريق الإجمال[١]، وذلك كما في قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[٢] حيث وقع قوله تعالى: (قتال) قيدًا بالبدل من الشهر والضمير العائد على المقيد (المبدل منه) هو الهاء في قوله: (فيه).

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ.اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣] وقع قوله تعالى: (من) قيدًا بالبدل من المرسلين[٤]، والمتأمل في هذا القيد يلحظ أن مجيئه هنا مقيدًا أفاد التفصيل بعد الإجمال.

(1) راجع: ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٣٦٥.
(2) من الآية: ٢١٧ من سورة البقرة.
(3) الآيتان: ٢٠-٢١ من سورة يس.
(4) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٩/ ٦٥.